

متصلة بالكوارث والأحداث، معلناً إليها في غيظ عنيف مرة وفي حزن أليم مرة أخرى، خيبة أمله في هؤلاء الأبناء الذين كان يظنهم محبين للعلم مؤثرين له متهاكين عليه، فإذا هم أصحاب عبث ولهو ومجون، وإذا هم ينفقون وقتهم في قراءة هذا الهذيان. ومن يدري! لعلهم ينفقون وقتهم في هذا أثناء إقامتهم في القاهرة على حين يظن هو أنهم يجدون ويعملون ويحصلون العلم، وهو إذن إنما يجد ويكد وينفق حياته وماله ليمضي أبناؤه في هذا السخف وفي هذا اللهو الآثم القبيح، وهم لا يضيعون وقتهم وجهدهم وجد أبيهم وكده وماله وأمله فحسب، ولكنهم يخربون بيت أبيهم بأيديهم كأنهم يجهلون أن هذا الكتاب لم يدخل بيتاً إلا خربه تخريباً.

ثم يعود الرجل إلى غرفة الكتب فيقلب كل ما فيها تقليباً، وما يزال يبحث حتى يظفر بأجزاء الكتاب كلها، ثم يعود بها منتصراً ساخطاً معاً، ثم يمزقها تمزيقاً، ولا يطمئن حتى يشعل فيها النار! وقد نغص يوم الأسرة فلم يذق الرجل ولا أهل الدار فيه طعاماً.

وعاد الفتیان آخر النهار، فلا تسل عما سمعوا ولا عما رأوا، ولا عن صمتهم حين صمتوا ولا عن قولهم حين قالوا. ولكن النتيجة الأولى والأخيرة فيما أظن لهذا كله هي أنني طردت من الدار طرداً، ورجعت إلى بيت زنوبة وإلى غرفتها، فقضيت فيها أسابيع أنتظر ما يجري به القضاء، وما تنتهي إليه حيلة البستاني الذي ضوعف له الأجر.